

الإيمان بأن الله تعالى قديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَرْسُلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا وَعَلَىٰ أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَدِيثُ الثَّامِنُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَّا؟ حَتَّىٰ يَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟} وَفِي لَفْظٍ: {فَلَيَقُلَّ: أَمْنَتْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} مَتَفَقِّعٌ عَلَيْهِ وَفِي لَفْظٍ: {لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟} . بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَىٰ أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ} أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ مُخْلُوقَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مُسْبَوَّقَةٌ بَعْدَمٍ، كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ أَنَّهَا كَانَتْ مَعْدُومَةً ثُمَّ وُجِدَتْ وَأَنَّهَا تَوَجَّدُ شَيْئًا فَشَيْئًا، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ أَنَّ لَهَا مَوْجَدًا أَوْجَدَهَا، خَالِقٌ خَلْقَهَا، وَلَا بُدَّ أَنَّ هَذَا الْخَالِقُ هُوَ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ بَعْدَمٍ وَهُوَ الرَّبُّ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْطَى كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَالَّذِي لَمْ يَسْبِقْ بَعْدَمٍ؛ أَيْ هُوَ قَدِيمٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ كَفُوا أَحَدٌ، بَلْ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَرْزَلَ لَمْ يَكُنْ مُخْلُوقًا لِغَيْرِهِ، بَلْ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا فَوْجَدَهُ بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ} إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَخُوضَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي صَفَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ يَتَوَقَّفُ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَدْرِكُهُ عُقْلَهُ وَلَا يَدْرِكُهُ عِلْمُهُ. إِذَا جَاءَتِ الْوَسَاوسُ، وَوَسُوسُ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمُخْلُوقَاتِ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِنَ الْذِي كَانَ سَابِقًا لِلَّهِ وَخَلْقَهُ؟ الْحَوَابُ: أَنْكَ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: {كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ} فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ بَعْدَمٍ. لَا شَكَ أَنَّ هَذِهِ الْوَسَاوسَ تَخْطُرُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَوَسُوسُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْذِي خَلَقَ الْخَالِقَ؟ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخُوضَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الْخَالِقَ لَيْسَ بِمُخْلُوقٍ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: مِنْ قَتْلِ الْقَاتِلِ؟ الْقَاتِلُ قَاتِلٌ وَلَيْسَ بِمَقْتُولٍ حَتَّىٰ يَقُولَ: مِنْ قَتْلِ الْقَاتِلِ؟ فَكَذَلِكَ لَا يَقُولَ: مِنْ خَلْقِ الْخَالِقِ؟ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.